

تفسير البحر المحيط

@ 240 @ عنهم بعض روع التهديد والوعيد ، والتحذير من عقابه ، ليعتدل قلب المؤمن في الرجاء والخوف ، وختم بهاتين الصفتين المقتضيتين المبالغة في الغفران والحلم ، ليقوي رجاء المؤمن في إحسان الله تعالى ، وطمعه في غفرانه وحلمه إن زل وهفأ ، وأبرز كل معنى من التحذير والإطماع في جملة مستقلة ، وكرر اسم الله تعالى للتفخيم ، والتعظيم بمن يسند إليه الحكم ، وجاء خبر أن الأولى بالمضارع ، لأن ما يهجس في النفوس يتكرر فيتعلق العلم به ، فكأن العلم يتكرر بتكرر متعلقه ، وجاء خبر أن الثانية بالاسم ليدل على ثبوت الوصف ، وأنه قد صار كأنه من صفات الذات ، وإن كان من صفات الفعل . . .
قيل : وتضمنت هذه الآيات ضرباً من البديع . . .

منها : معدول الخطاب ، وهو أن الخطاب بقوله : { وَالَّذِينَ يُتَدَوِّفُونَ } الآية عام والمعنى على الخصوص . ومنها : النسخ ، إذ هي ناسخة للحول على قول الأكثرين . ومنها : الاختصاص ، وهو أن يخص عدداً فلا يكون ذلك إلاّ لمعنى ، وذلك في قوله : { أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } ومنها : الكناية ، في قوله : { وَلَآكِن لَّا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا } كنى بالسر عن النكاح ، وهي من أبلغ الكنايات . ومنها : التعريض ، في قوله : { يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ } ومنها : التهديد ، بقوله { فَادْزَرُّوهُ } ومنها : الزيادة في الوصف ، بقوله : { غَفُورٌ حَلِيمٌ } . . .
{ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَلْتُمْ الذِّسَاءَ مَا لَكُمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفَرِّطُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً } نزلت في أنصاري تزوج حنيفة ولم يسم مهراً ، ثم طلقها قبل أن يمسه ، فقال صلى الله عليه وسلم (: متعها ولو بقلنسوتك) : فذلك قوله : { لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } الآية . . .

ومناسبتها لما قبلها أنه : لما بين تعالى حكم المطلقات المدخول بهن ، والمتوفى عنهن أزواجهن ، بين حكم المطلقة غير المدخول بها ، وغير المسمى لها مدخولاً بها ، أو غير ذلك . . .

والمطلقات أربع : مدخول بها مفروض لها ، ونقيضتها ، ومفروض لها غير مدخول بها ، ونقيضتها . . .

والخطاب في قوله : { لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } للأزواج ، ومعنى نفي الجناح هنا هو أنه : لما نهى عن التزوج بمعنى الذوق وقضاء الشهوة ، وأمر بالتزوج طلباً للعصمة والثواب ، ودوام الصحة ، وقع في بعض نفوس المؤمنين أن من طلق قبل البناء يكون قد أوقع جزءاً من

هذا المكروه ، فرفع الجناح في ذلك ، إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن . .
{ مَا لَمْ تَمَسَّ هُنَّ } قرأ حمزة والكسائي : تماسوهنَّ ، مضارع ما من ، فاعل .
وقرأ باقي السبعة مضارع مسست ، وفاعل . يقتضى اشتراك الزوجين في المسيس ، ورجح أبو علي
قراءة : تماسوهنَّ ، بأن أفعال هذا الباب جاءت ثلاثية ، نحو : نكح ، وسفد ، وفزع ، ودقط ،
وضرب الفحل ، والقرابان حسنتان ، والمس هنا والمماسه : الجماع ، كقوله : { وَلَمْ
يَمَسَّ سِنَى بِشَرِّ } و : ما ، في قوله : { مَا لَمْ تَمَسَّ هُنَّ } الظاهر أنها
ظرفية مصدرية ، التقدير : زمان عدم المسيس كقوله الشاعر : % (إني بحبلك واصل حبلي % .
وبريش نيلك رائش نيلي .

(% % (ما لم أجدك على هدى أثر % .

يقرو مقصك قائف قبلي .

وهذه ما ، الظرفية المصدرية ، شبيهة بالشرط ، وتقتضي التعميم نحو : أصبحك ما دمت لي
محسناً ، فالمعنى : كل وقت دوام إحسان . وقال بعضهم : ما ، شرطية ، ثم قدرها بأن ،
وأراد بذلك ، وإعلم ، تفسير المعنى ، و : ما إذا كانت شرطاً تكون إسما